الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ وَتَفْسِيرُ القُرآنِ

الإمامُ الصَّادِقُ عليه السلام أنمُوذَجاً

د. حميد الفتلي

جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم اللغة العربية

فحوى البحث

الامام جعفر بن محمد الصادق هو سادس الأئمة في عقيدة المسلمين الشيعة الامامية واليه ينمى مذهبهم. وفي البحث حاول السيد الباحث أن يتقصى ما روي عنه في تفسير وتأويل القرآن الكريم من المصادر التي تهيأت له وقد جعل تلك الروايات انموذجاً لما روي عنه عليه السلام يقتصر على تفسيره بعض سورة البقرة و سورة آل عمران على أن يتقصى بقية مروياته عليه السلام في عموم القرآن الكريم في مقامات أخر إن شاء الله – تعالى– .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن صاحبته الغرّ الميامين، ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإنّ القرآن الكريم كتاب الله المنزل على رسوله الكريم وإنّ في القرآن آيات محكمات وأُخر متشابهات، وقد كان الرعيل الأوّل من الصحابة يسألون رسول الله ﷺ في معنى الآية والآيتين فيشرح ويفسّر لهم؛ لذا فإنّ رسول الله ﷺ يعدّ أوّل مفسّر للقرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الجمعة: ٢].

فضلاً عن علمه ﷺ بظاهر القرآن وباطنه، فإنّه القائل: ((ما في القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن))[١].

وكلّما تقادمت العصور احتاج الناس إلى تبيين وشرح للقرآن الكريم وشاع بين المسلمين مصطلحا التفسير والتأويل، والفرق بين المصطلحين واضح بيّن.

فالتفسير من فسّر بمعنى أبان وكشف، وفسّر الشيء فسراً من باب ضرب بيّنته وأوضحته))[٢]، وهو في الاصطلاح إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل في إفادة المعنى المقصود[٣].

وأمّا التأويل فهو مصدر من آل يؤول أولاً إذا رجع[٤].

وهو في الاصطلاح حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر مع احتمال ورود دليل يؤيّده[٥].

وقد عُني العلماء قديماً وحديثاً بتفسير القرآن، ووضعت في ذلك المصنّفات الكثيرة منها ما كان مختصراً ومنها ما كان مطوّلاً، وقد تعدّدت مناهجهم في ذلك فاتّبع ذلك اختلاف مناهج التفاسير أنفسها.

وأمّا التأويل فإنّه لا يتأتى لكل واحد؛ ولذا فإنّه من مختصّات رسول الله ﷺ

(١) بحار الأنوار ٢٣/ ١٩٧.

(٢) المصباح المنير مادّة (فسر).

(٣) ينظر: التفسير الأثري الجامع (محمد هادي معرفة) ١/ ٢٩.

(٤) ينظر: لسان العرب والمصباح المنير مادّة (أول).

(٥) المعجم الشامل ٢/ ٩٢، وينظر: التعريفات ٣٤.

وأهل بيته الميامين فإنّهم أعلم بتأويل القرآن؛ لأنّه في بيوتهم نزل، وهم أدرى الناس بظاهره وباطنه، محكمه ومتشابهه، فإنّهم الراسخون في العلم الذين قال الله فيهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وقال ﷺ: ((إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وهو عليّ بن أبي طالب))[٦].

ومن هنا جاء اهتمام أهل البيت عليهم السلام بتأويل القرآن وتفسيره وتبيين أحكامه، فكانوا يكشفون عن مكنوناته لعامّة الناس ولخاصّتهم، ولعلّ من أبرز من تصدّى لهذا الأمر صادق آل البيت أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، فقد أُتيحت له فرصة لذلك، إذ دامت إمامته حوالي ثلث قرن جمع أصحابه وأنشأ جامعة علمية رصينة، وبثّ طلبته في البلدان المختلفة، وذلك نتيجةً للظروف التي عاشتها الأمّة آنذاك من سقوط للدولة الأُموية، وولادة حديثة للدولة العبّاسية، وانشغال الحكام إلى حدٍّ ما بأنفسهم وتثبيت أركان دولتهم.

فقد كان عليه السلام يبيّن لأصحابه معنى الآية، ويشرح لهم مدلولاتها، ويخبر عن تأويلها كلّما سئل عن ذلك.

وقد انصبّ أهتمامنا على جمع الآيات التي أشار الإمام إلى تفسيرها. فانحصرت بين ما تبقى من سورة البقرة وسورة آل عمران.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]

نقل الكليني في (باب الوضوء) بسند عن ((محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ قال: كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار ثُمّ أحدث الوضوء وهو خلق

(٦) بحار الأنوار ٢٣/ ٨٢، وموسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب ٦/ ٤٠٣.

كريم فأمر به رسول الله ﷺ وصنعه وأنزل الله في كتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾))[٧].

فقد بيّن الإمام عليه السلام دلالة الآية وسبب نزولها، ونقل الشيخ الطوسي معنيين للمتطّهرين في الآية: الأوّل: هم المتطهّرون بالماء، والثاني: المتطهّرون من الذنوب، ثمّ قال: ((والأوّل مروي في سبب نزول هذه الآية، والمعنى يتناول الأمرين. وإنّما قال: (الْمُتَطَهِّرِينَ) ولم يقل المتطهرات؛ لأنّ المؤنث يدخل في المذكر، لتغليبه عليه))[٨].

وفسّرها كثير من المفسّرين على نحو متقارب، وهو الطهارة المادّية أو المعنوية، فقد ورد في تفسير مقاتل: ((إن الله يحبّ التوّابين من الذنوب، ويحبّ المتطهّرين من الأحداث والجنابة والحيض))[٩].

وذكر ابن الجوزي قولين في معنى التوّابين، وثلاثة في معنى المتطهّرين، قال: ((وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾، قولان: أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، ثلاثة أقوال: أحدها: المتطهرين من الذنوب... والثاني: المتطهرين بالماء... والثالث: المتطهرين من إتيان أدبار النساء))[١٠].

والفرق واضح بين ما نقلناه من تفسير عن الإمام عليه السلام وعن غيره، فقد ضيّق الإمام عليه السلام دلالة الآية، وجعلها منحصرة بقضية معيّنة في حين جاء تفسير القوم عامّاً شاملاً لكلّ أنواع التطهّر.

قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[سورة البقرة: ٢٢٥]، و [سورة المائدة: ٨٩].

ذكر الكليني في (باب اللغو) بسند ((علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ قال: اللغو قول الرجل: (لا والله) و(بلى والله)

(٧) الفروع من الكافي ٣/ ١٨، وتفسير نور الثقلين ١/ ٢٤٢.
(٨) التبيان ٢/ ٢١٨.
(٩) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢.
(١٠) زاد المسير ١/ ١٩٠، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٦/ ٤٢٠، وتفسير البيضاوي ١/ ١٣٩.

ولا يعقد على شيء))[11].

وقال الآلوسي: ((اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلّق به حكم وهو عندنا أن يحلف على أمر مضى يظنه كذلك، فإن علمه على خلافه فاليمين غموس... وعند الشافعي ما يسبق إليه اللسان من غير نيّة اليمين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله))[12].

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٩].

نقل الكليني في (باب صلاة الخوف) عن ((أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ كيف يصلي وما يقول إذا خاف من سبع أو لص كيف يصلي؟. قال: يكبر ويومئ إيماءً برأسه))[13]. فقد أوّل الإمام قوله تعالى بصلاة الخوف التي بيّن صفتها ((وصلاة الخوف من العدو: ركعتان في السفر والحضر إلا المغرب فإنّها ثلاث ركعات، ويروى أن علياً عليه السلام صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير. وأنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى يوم الأحزاب إيماءً))[14].

وقد أخذ جلّ المفسّرين بقول الإمام عليه السلام قال ابن عطية: ((أمر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت، وهو الوقار والسكينة وهدوء الجوارح، وهذا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة، ثُمّ ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة أحياناً، فرخّص لعبيده في الصلاة رجالاً متصرفين على الأقدام، ورُكْباناً على الخيل والإبل، ونحوه إيماء وإشارة بالرأس حيث ما توجه، هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة أو من سبع يطلبه أو عدو يتبعه أو سيل يحمله، وبالجملة فكل أمر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية))[15].

(١١) الفروع من الكافي ٧/ ٤٤٣.
(١٢) روح المعاني ٧/ ٩.
(١٣) الفروع من الكافي ٣/ ٤٥٧.
(١٤) التبيان ٢/ ٢٧٦.
(١٥) المحرّر الوجيز ١/ ٣٢٤، وينظر: تفسير

قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤١].

ذكر الكليني في باب (متعة المطلقة) بسند عن ((أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي، عن عبد الكريم، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: و﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال: متاعها بعد ما تنقضي عدتها (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) وكيف لا يمتعها وهي في عدتها ترجوه ويرجوها ويحدث الله عزَّ وجلَّ بينهما ما يشاء، وقال: إذا كان الرجل موسعا عليه متع امرأته بالعبد والأمة والمقتر يمتع بالحنطة (والشعير) والزبيب والثوب والدراهم، وإن الحسن بن علي عليهما السلام متع امرأة له بأمة ولم يطلق امرأة إلا متعها))[١٦].

وقد أشار كثير من المفسّرين إلى هذا الحكم الذي قرّره الإمام، قال الزمخشري: ((بإيجاب المتعة لهن... وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري: أنها واجبة لكل مطلقة. وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعاً. وقيل: المراد بالمتاع نفقة العدة))[١٧].

وفصّل الرازي في هذه المسألة مستعرضاً آراء الفقهاء في ذلك، لا أرى من الواجب ذكره، فإنّه إلى البحث الفقهي أقرب منه إلى التفسير[١٨].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣].

ذكر الكليني بسند عن ((سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد وغيره، عن بعضهم، عن أبي عبد الله عليه السلام وبعضهم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ فقال: إن هؤلاء

الرازي ٦/ ٤٨٩، وتفسير النسفي ١/ ٢٠٠.

(١٦) الفروع من الكافي ٦/ ١٠٥.

(١٧) الكشّاف ١/ ٢٨٩.

(١٨) ينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) ٦/ ٤٧٩.

أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا، ويقل في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا: لو كنا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الذين أقاموا: لو كنا خرجنا لقلّ فينا الموت. قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنّه إذا وقع الطاعون فيهم وأحسوا به خرجوا كلهم من المدينة، فلما أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً، وتنحوا عن الطاعون حذر الموت، فساروا في البلاد ما شاء الله.

ثُمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها، فلمّا حطوا رحالهم واطمأنوا بها، قال الله عزَّ وجلَّ: موتوا جميعاً فماتوا من ساعتهم، وصاروا رميماً يلوح، وكانوا على طريق المارة فكنستهم المارة فنحوهم وجمعوهم في موضع، فمرّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل، فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر، وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم، فعمروا بلادك، وولدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله تعالى إليه: أفتحب ذلك؟. قال: نعم يا ربّ، فأحيهم. قال: فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن قل: كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عزَّ وجلَّ أن يقوله -فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهو الاسم الأعظم -فلمّا قال: حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياءً ينظر بعضهم إلى بعض، يسبحون الله عزّ ذكره، ويكبرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أن الله على كلّ شيء قدير. قال عمر بن يزيد: فقال أبو عبد الله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية))[19].

فقد بيّن الإمام عليه السلام في هذه القصّة التي رويت عنه سبب نزول الآية المباركة الذي هو واحد من الأدوات المهمّة في فهم النصّ القرآني الذي يعبّر عنه بقرينة المقام أو القرينة الحالية لفهم النصّ.

وذكر الشيخ الطوسي في التبيان قولين في سبب قرار هؤلاء القوم الذين أشار

(١٩) الفروع من الكافي ٨/ ١٩٨ -١٩٩.

إليهم الإمام، قال: ((وقال الحسن، وأكثر المفسرين: كانوا فروا من الطاعون الذي وقع بأرضهم. وقال الضحاك: فروا من الجهاد))، ثُمّ قال الشيخ: ((وفي الآية دليل على من أنكر عذاب القبر والرجعة معاً؛ لأنّ الإحياء في القبر، وفي الرجعة مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم للعبرة.

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما -أنّ معناه أماتهم الله، كما يقال: قالت السماء، فهطلت، وقلت برأسي كذا وقلت بيدي، وذلك لما كان القول في الأكثر استفتاحاً للفعل، كالقول الذي هو تسمية، وما جرى مجراها ممّا كان يستفتح به الفعل، صار معنى قالت السماء، فهطلت، أي: استفتحت الهطلان، وصار بمنزلة استفتاح الأفعال فلذلك صارت أماتتهم بمنزلة استفتاح الأفعال.

الثاني: أن يكون أحياهم عند قول سمعته الملائكة بضرب من العبرة. ويجوز عندنا أن يكونوا أحيوا في غير زمان نبيٍّ.

وقالت المعتزلة: لا يجوز أن يكون ذلك إلا في زمان نبيٍّ؛ لأنّ المعجزة لا يجوز ظهورها إلا للدلالة على صدق نبي، تكون له آية. وقد بيّنّا فساد ذلك في غير موضع، وأنّه تجوز المعجزات على دين من الصادقين: من الأئمة، والأولياء وإن لم يكونوا أنبياء.

وروي عن ابن عبّاس: أنه مرّ بهم نبي، فدعا الله تعالى، فأحياهم))[٢٠].

وقال غير واحد من المفسّرين بما فسّر الإمام عليه السلام مع اختلاف في مكان تلك المدينة وعدد الخارجين منها[٢١].

ونقل ابن عطية عن الضحّاك إنّما هؤلاء القوم هم من ((من بني إسرائيل أمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثُمّ أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾))[٢٢].

وجعل بعض المفسّرين عددهم أربعة آلاف خرجوا من قرية قرب واسط بالعراق تسمّى داوردان[٢٣].

(٢٠) التبيان ٢/ ٢٨١.
(٢١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٢/ ٢٠٢، والكشّاف ١/ ٣١٨.
(٢٢) المحرّر الوجيز ١/ ٣٢٧.
(٢٣) الدر المنثور١/ ٧٤١، والبحر المديد١/ ٢٦٨.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة البقرة: ٢٥١].

ذكر الكليني في باب (إنّ الله يدفع بالعامل عن غير العامل) بسند ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن عبد الله بن القاسم عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إنّ الله ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمّن لا يصلي من شيعتنا، ولو أجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ من شيعتنا، ولو أجمعوا على ترك الحج لهلكوا، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: (﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم))[٢٤].

فبيّن الإمام عليه السلام التأويل لهذه الآية وأقسم على أنّها نزلت في شيعتهم، والى معنى قريب من هذا ذهب مجاهد في تفسيره لكنّه جعله عامّاً غير مختصٍّ بفئة كما أشار الإمام عليه السلام، قال: ((يدفع بعضهم بعضا في الشهادة، وفي الحق، وفي مثل هذا يقول: لولا هذا لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها))[٢٥].

في حين فسّر كثير من المفسّرين الآية تفسيراً ظاهرياً عامّاً، يقول الزمخشري: ((ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض. وقيل: ولولا أنّ الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين. أو لو لم يدفعهم بهم لعمّ الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض))[٢٦].

وطرح الرازي احتمالات لمعنى الآية ترجع بمجملها إلى ما ذكر الزمخشري ومَن أخذ بمقالته، قال: ((اعلم أنه تعالى ذكر في هذه الآية المدفوع والمدفوع به، فقوله: ولولا دفع الله الناس بعضهم إشارة إلى

(٢٤) أُصول الكافي ٢/ ٤٥١، وينظر: نور الثقلين ١/ ٢٨٢.

(٢٥) تفسير مجاهد ٤٨٢.

(٢٦) الكشّاف ١/ ٢٩٦.

المدفوع، وقوله: ببعض إشارة إلى المدفوع به، فأما المدفوع عنه فغير مذكور في الآية، فيحتمل أن يكون المدفوع عنه الشرور في الدين ويحتمل أن يكون المدفوع عنه الشرور في الدنيا، ويحتمل أن يكون مجموعهما))[٢٧].

قال تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

فسّر الإمام عليه السلام معنى الجزء في الآية الكريمة، فقد روى الكليني في باب (مَن أوصى بجزء من ماله) بسند ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعا، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن عبد الرحمن بن سيابة قال: إنّ امرأة أوصت إلي فقالت: ثلثي يقضى به ديني وجزء منه لفلانة فسألت عن ذلك ابن أبي ليلى فقال: ما أرى لها شيئا ما أدرى ما الجزء فسألت عنه أبا عبد الله عليه السلام بعد ذلك وخبرته كيف قالت المرأة وما قال ابن أبي ليلى فقال: كذب ابن أبي ليلى لها عشر الثلث، إنّ الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ وكانت الجبال يومئذ عشرة والجزء هو العشر من الشيء))[٢٨].

في حين ذهب المفسّرون مذاهب أخرى في تفسير الآية، إذ ذكر ابن عطية أنّ المعنى ((اجعل جزءاً على كلّ ربع من أرباع الدنيا كأن المعنى اجعلها في أركان الأرض الأربعة. وفي هذا القول بعد، وقال قتادة والربيع المعنى واجعل على أربعة أجبل على كلّ جبل جزءاً من ذلك المجموع المقطع، فكما يبعث الله هذه الطير من هذه الجبال فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة من أرباع الدنيا وجميع أقطارها))[٢٩].

وقيل: ((جزأهن أجزاء، وجعل على كلّ جبل منهن جزءاً، قيل: أربعة أجبل. وقيل: سبعة))[٣٠]، ولم يتطرّق أحد من المفسّرين إلى معنى الجزء الذي ذكره الإمام، وأنّهم اختلفوا في عدد الجبال كما هو واضح من التفاسير[٣١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

(٢٧) مفاتيح الغيب ٦/ ٥١٨.

(٢٨) الفروع من الكافي ٧/ ٣٩ - ٤٠.

(٢٩) المحرّر الوجيز ١/ ٣٥٥.

(٣٠) تفسير ابن كثير ١/ ٦٩٠.

(٣١) انظر على سبيل المثال: تفسير الآلوسي ٢/ ٣٤٦.

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[سورة البقرة: ٢٦٧].

ذكر الكليني في باب (النوادر) عن ((الحسين بن محمّد، عن معلى بن محمّد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أمر بالنخل أن يزكى يجيء قوم بألوان من تمر وهو من أردى التمر يؤدّونه من زكاتهم تمراً، يقال: له الجعرور والمعافارة قليلة اللحا عظيمة النوى، وكان بعضهم يجيء بها عن التمر الجيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخرصوا هاتين التمرتين ولا تجيئوا منها بشيء، وفي ذلك نزل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ والإغماض أن تأخذ هاتين التمرتين))[٣٢].

وفي رواية أُخرى ((عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام من قوله الله عزَّ وجلَّ ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فقال: كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهلية، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يخرجوا من أطيب ما كسبوا))[٣٣]. وقد أخذ معظم المفسّرين بهذا القول[٣٤].

قال تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

ذكر الكليني في باب (فرض الزكاة) عن ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فقال: هي سوى الزكاة إن الزكاة علانية غير سرّ))[٣٥].

فإنّه بين عليه السلام أنّ إخفاء الصدقة أفضل

(٣٢) الفروع من الكافي ٤/ ٤٨.

(٣٣) الفروع من الكافي ٤/ ٤٨.

(٣٤) ينظر على سبيل المثال: التبيان ٢/ ٣٤٢، ومجمع البيان ٢/ ١٦٩، والدر المنثور ٢/ ١٩٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٦٩٨، وتفسير أبي السعود ١/ ٣٢٥.

(٣٥) الفروع من الكافي ٣/ ٥٠٢.

عند الله ما عدا الزكاة، فإنّها ينبغي أن تكون علانيةً لا سرّاً.

وقد أومأ كثير من المفسّرين إلى هذا التفريق بين إنفاق الصدقة وبين تأدية الزكاة الذي قرّره الإمام، فقد قيل: ((إِنْ تُظهروا الصَّدَقاتِ، مخلصين فيها، فَنِعِمَّا هِيَ أي: فنعم شيئاً إبداؤها، ولاسيّما للمقتدى به، فهو أفضل في حقه، وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ خُفيةً فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لأنه أقرب للإخلاص، وهذا في التطوع، تفضل عَلانيتها بسبعين ضعفاً. وأما الفريضة ففيها تفصيل، فمن خاف على نفسه شوْبَ الرياء أخفى أو نَوّب، ومَنْ أَمِنَ أَظْهَر. فقد ورد أن علانية الفريضة تَفْضُلُ سرَّها بخمسة وعشرين ضعفاً، فإن فعلتم ما أُمرتم به في الوجهين، فقد أحسنتم))[٣٦]. وإنّما فضلت صدقة السر؛ لأنّ فيها إبقاء على ماء وجه الفقير، حيث لم يطّلع عليه غير المعطي[٣٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣].

نقل الكليني في باب (حجّ آدم عليه السلام) رواية طويلة عن الإمام الصادق بيّن فيها سبب نزول هذه الآية وقصّة خروج آدم عليه السلام وإهباطه إلى الأرض وتوبته عليه السلام وتبيين مناسك الحجّ له، فعن ((علي بن محمّد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ لما أصاب آدم وزوجته الحنطة أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فأهبط آدم على الصفا وأهبطت حواء على المروة وإنما سمي صفا لأنه شق له من اسم آدم المصطفى وذلك لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ وسميت المروة مروة لأنه شق لها من اسم المرأة... ويستمر في سوق الرواية.

في حين ذهب المفسّرون إلى تفسير الآية تفسيراً لغوياً ظاهرياً، ذكر صاحب التبيان ثلاثة احتمالات لهذا الاصطفاء بعد أن بيّن المعنى اللغوي له، قال: ((معنى اصطفى: اختار واجتبى وأصله من الصفوة، وهذا من حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم

(٣٦) البحر المديد ١/ ٣٠٤-٣٠٥.
(٣٧) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٤٦٦.

بالمرئي وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم؛ لأنّهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس. فان قيل: بماذا اختارهم أباختيار دينهم أو بغيره؟. قيل: فيه ثلاثة أقوال: أحدها -بمعنى أنه اختار دينهم واصطفاه...

والثاني:.. انه اختيارهم للنبوة على عالمي زمانهم.

الثالث:.. بالتفضيل على غيرهم بما رتبهم عليه من الأُمور الجليلة، لما في ذلك من المصلحة))[٣٨].

وقال الآلوسي: ((الاصطفاء أعم من المحبة والخلة فيشمل الأنبياء كلهم وتتفاضل فيه مراتبهم كما يشير إليه قوله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فأخص المراتب هو المحبة وإليه يشير قوله تعالى: ورفع بعضهم درجات ثُمّ الخلة وفي لفظها إشارة إلى ذلك من طريق مخارج الحروف وأعمها الاصطفاء فاصطفى آدم بتعليم الصفات وجمع اليدين وإسجاد الأكوان له ونوحا الذي هو الأب الثاني بتلك الأبوة وبما كان له مع قومه واصطفى آل إبراهيم وهم الأنبياء من ذريته بظهور أنوار تجليه الخاص على آفاق وجودهم وآل عمران بجعلهم آية للعالمين ذرية بعضها من بعض في الدين والحقيقة))[٣٩].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾[سورة آل عمران:٩٦-٩٧].

نقل الكليني في باب (قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾) روايةً بسند ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ما هذه الآيات البيّنات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه والحجر الأسود ومنزل إسماعيل عليه السلام))[٤٠].

وأعطى بعض المفسّرين المعنى اللغوي

(٣٨) التبيان ٢/ ٤٣٩.

(٣٩) روح المعاني ٣/ ١٢.

(٤٠) الفروع من الكافي ٤/ ٢٢٣.

للآيات ثُمّ ذكر المراد بالبيّنات عامّة مشاهد الحجّ ومشاعره، كما نطق به الإمام قبل ذلك، قال الشيخ الطوسي: ((﴿ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ ﴾ أي: دلالات واضحات والهاء في فيه عائد إلى البيت وروي عن ابن عباس أنه قرأ فيه آية بينة مقام إبراهيم فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآية وقال أثر قدميه في المقام آية بينة والأول عليه القراء والمفسرون أرادوا مقام إبراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وأركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها))[41].

وبالغ بعض المفسّرين في ذكر معنى الآيات البيّنات، فذكر المشاهد والحوادث والمخلوقات وغير ذلك[42].

وتأويل الإمام للآية يكشف عن حقيقتها فإنّ ذلك التأويل جامع مانع، جامع للمراد، مانع لذكر الأمور التي بالغ في ذكرها المفسّرون.

وأمّا في تأويل قوله تعالى، وهو تتمّة الآية: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[سورة آل عمران: ٩٧]، فقد ذكر الكليني بسند عن ((علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾، البيت عنى أم الحرم؟. قال: من دخل الحرم من الناس مستجيراً به، فهو آمن من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يُهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم))[43].

وفي رواية أخرى عن ((حماد عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾، قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جنايةً ثُمّ فرّ إلى الحرم لم يسع لأحدٍ أن يأخذه في الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يُطعم ولا يُسقى، ولا يُكلّم، فإنّه إذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيُؤخذ، وإذا جنى في الحرم جنايةً أُقيم عليه الحدّ في الحرم؛ لأنّه لم يدع للحرم حرمته.

وعن علي بن حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله الله عزَّ وجلَّ، قال: إن سرق سارق بغير مكّة أو جنى جنايةً على

(٤١) مجمع البيان ٢/ ٣١١.
(٤٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٢٠٩.
(٤٣) الفروع من الكافي ٤/ ٢٢٦ -٢٢٧.

نفسه ففرّ إلى مكة لم يؤخذ ما دام في الحرم حتى يخرج منه، ولكن يُمنع من السوق، ولا يُبايع ولا يُجالس حتى يخرج منه فيؤخذ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث أُخذ فيه))[٤٤].

قال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٠].

ذكر الكليني في باب (منع الزكاة) بسند عن ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقال: يا محمّد ما من أحد يمنع من زكاة ما له شيئا إلا جعل الله عزَّ وجلَّ ذلك يوم القيامة ثعبانا من نار مطوقا في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ثُمّ قال: هو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يعني: ما بخلوا به من الزكاة))[٤٥].

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه))[٤٦].

فقد ضيّق الإمام دلالة الآية فجعل ما بخلوا به من مال ليس على إطلاقه، وإنّما البخل يعني منع الزكاة، وقد أومأ كثير من المفسّرين إلى هذا المعنى، قال الطبرسي: ((يجعل ما بخل به من المال طوقاً في عنقه، والآية نزلت في مانعي الزكاة، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام))[٤٧].

في حين وسّع بعضهم الدلالة، فحمل الأموال على معناها العامّ، ومعنى الآية: ((ستكون تلك الأموال التي بخلوا بها طوقاً في أعناقهم في ذلك اليوم الرهيب))[٤٨].

وهذا ما ذهب إليه الرازي، فذكر لما يبخل به هؤلاء قولين: الأوّل: يقصد أموالهم، قال: ((لا يتوهمن هؤلاء البخلاء أن بخلهم هو خير لهم، بل هو شر لهم، وذلك لأنه يبقى عقاب بخلهم عليهم...

(٤٤) الفروع من الكافي ٤/ ٢٢٦ -٢٢٧.
(٤٥) الفروع من الكافي ٣/ ٥٠٢.
(٤٦) زاد المسير ١/ ٣٥٣.
(٤٧) مجمع البيان ٢/ ٤٠٩.
(٤٨) الأمثل ٣/ ٢١.

مع أنه لا تبقى تلك الأموال عليهم...

والقول الثاني: أن المراد من هذا البخل: البخل بالعلم، وذلك لأنّ اليهود كانوا يكتمون نعت محمّد صلى الله عليه وسلم وصفته، فكان ذلك الكتمان بخلاً، يقال فلان يبخل بعلمه، ولا شك أن العلم فضل من الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾))[٤٩].

والفرق بين تأويل الإمام الذي جعل معنى الآية خاصّاً وبين تفسير غيره الذي جعله عامّاً، واضح.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠].

ذكر الكليني في باب (أداء الفرائض) أكثر من رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في تبيين هذه الآية، فبسند متّصل عن ((علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال: اصبروا على الفرائض))[٥٠].

وبسند آخر عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام ((قال: اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة))[٥١].

وعن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام: ((قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس))[٥٢].

وعنه عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ما تحبّب إليّ عبدي بأحبّ ممّا افترضت عليه))[٥٣].

فقد بيّن الإمام عليه السلام أنّ الآية الكريمة تتحدّث عن ضرورة التمسّك بفرائض الله وأنّ التمسّك بالأئمة والمرابطة عليهم مصداق من مصاديق تلك الفرائض، فقد رُوي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوحٍ، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنه غرق، ومثل باب حِطّة، مَن دخله نجا، ومَن لم

(٤٩) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٤٣.

(٥٠) أُصول الكافي ٢/ ٨١ -٨٢.

(٥١) أُصول الكافي ٢/ ٨٢.

(٥٢) أُصول الكافي ٢/ ٨٢.

(٥٣) أُصول الكافي ٢/ ٨٢.

يدخله هلك))[٥٤].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: ((اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمَن مَن ركبها، ويغرق مَن تركها، المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق))[٥٥].

في حين أورد الشيخ الطوسي عدّة تفسيرات للآية تدور كلّها حول معنى عامّ، وهو الصبر على كلّ ما هو من الدين، قال: ((اختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال قوم: معنى اصبروا اثبتوا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم، يعني في سبيل الله... وقال آخرون: معناها (اصبروا) على دينكم (وصابروا) الوعد الذي وعدتكم به (ورابطوا) عدوي وعدوكم... وقال آخرون (اصبروا) على الجهاد (وصابروا) عدوكم (ورابطوا) الخيل عليه... وقال آخرون: رابطوا الصلوات، أي: انتظروها واحدة بعد واحدة؛ لأنّ المرابطة لم تكن حينئذ))، ثُمّ قال: ((والأَولى أن تحمل الآية على عمومها في الصبر على كلّ ما هو من الدين، فعلاً كان أو تركاً))[٥٦].

في حين نرى بعض المفسّرين ينحون في تفسير هذه الآية منحى بعيداً عن العمق والتأمّل، ويوردون تفسيرات ظاهرية عامّة، كما نقل عن أبي هريرة أنّه قال: ((لم يكن فِي زمَان النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم غَزْو يرابطون فِيهِ وَلكنهَا نزلت فِي قوم يعمرون الْمَسَاجِد يصلونَ الصلاة فِي مواقيتها ثُمّ يذكرُونَ الله فِيهَا، فَعَلَيْهِم أنزلت (اصْبِرُوا) أَي على الصَّلَوَات الْخمس (وَصَابِرُوا) أَنفسكُم وهواكم (وَرَابطُوا) فِي مَسَاجِدكُمْ (وَاتَّقوا الله) فِيمَا علمكُم (لَعَلَّكُمْ تفلحون)))[٥٧].

وذهب قسم من المفسّرين إلى أن معنى (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا): انتظار الصلاة بعد الصلاة[٥٨].

وفي الختام أقول: اللهم اجعلِ القرآنَ ربيعَ قلوبنا، ونورَ بصائرنا، وألهمنا

(٥٤) الأمالي للطوسي ١/ ٦٧.
(٥٥) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٦/ ٤٨٣.
(٥٦) التبيان ٣/ ٩٤.
(٥٧) الدرّ المنثور ٣/ ٢٥.
(٥٨) ينظر: تفسير الثعالبي ١/ ٢٨٢، وتفسير الرازي ٢/ ٢٩٨.

معرفة حدوده، وأحكامه، واجعلنا من المتمسّكين بأوامره، المنتهين بنواهيه، واحشرنا مع محمّد وآل محمّد، أولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم، وارزقنا من علومهم، واجعلنا من المبلّغين لها، وتقبّل منا هذا اليسير، واعفُ عن الكثير إنّك على كلّ شيء قدير، وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأمالي، الشيخ الطوسي، تح: قسم الدراسات الإسلامية -مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ، دار الثقافة -قم.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت -لبنان ١٤٢١هـ.

٣. الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف من الاعتزال، الإمام ناصر الإسكندري، مطبعة البابابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥هـ.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٥. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، (د، ط)، ١٤١٩هـ.

٧. التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٢٠٦هـ.

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤هـ.

٩. تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٠. تفسير ابن كثير الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حافظ الدين النسفي، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٢. تفسير، مجاهد بن جبر، تح: عبدالرحمن الطاهر، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد.
١٣. تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث- بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
١٤. تفسير نور الثقلين، الحويزي، صحّحه وعلّق عليه: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم -إيران.
١٥. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر -بيروت.
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي -بيروت.
١٧. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تح: محمد بن عبدالرحمن عبدالله، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٨. شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، تح: الميرزا أبي الحسن الشهراني، تح: السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
١٩. الفروع من الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٣، ١٣٦٧هـ ش، حيدري، دار الكتب الإسلامية -طهران.
٢٠. الكشّاف للزمخشرين، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الأخيرة ١٣٨٥هـ.
٢١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تح: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.